

## الغزوة الوهابية لمشرق الأردن

رأى في الوهابية - هل أبيعة العرب قابلة لعقد المحالفات ؟ - هل في الايمان تاليف خلف هربي ؟  
ماذا يريد السلطان ابن السعود ؟ معور اهل فلسطين  
يقلم محمد علي الظاهر ( ( نشر سنة ١٩٢٢ ) في جريدة السياسة بالقاهرة )

لم تعد الوهابية ذلك الغول الذي كان يحسب العالم الاسلامي حسابه ويتوقع خطره ، لان الطهيب  
الجنيلي الوهابي بات اليوم معروفا للناس واسمح له من الانصار والعربدين ما يجعل البعض يتوقع له مستقبلا  
نظما فيلته سر ويمتد الى ان يدين به سكان الجزيرة العربية . فاذا كانت البروتستانتية في العالم المسيحي  
قد طوحت بعض الخرافات جانبها وهدما انصارها حركة اصلاحية في الدين المسيحي ، فان الوهابية هي العدو  
لمعظم البدع التي جعل المشركون يبنها وبين روح الدين الاسلامي صلبة ونسبا . ونحن اذا رجعنا الى  
نهضة الوهابية الاولى في اوائل القرن الثامن ، نجد ان الحكام الترك للعالم العربي قد اندثروا منها ، كما  
نهر الانكليز في اواخر القرن الثامن من الحركة المهدوية في السودان .

فكما ان الترك قد فدوا على الوهابية التي اشبهها بالنسبة الى الامة العربية بقبس من نور سراج في  
قلب الجزيرة ، فالحمدون بواسطة محمد علي باشا الكبير وجيش مصر ، وكذلك الانكليز فانهم لم يحدوا الحركة  
المهدوية وبقوتها على دولة التعاريفي الا بواسطة جيش مصر . والغريب ان قسده الترك من تشكيل محمد علي  
بالخاتم الحركة الوهابية كان كقصد الانكليز من ايكال امر احمد حركة السودان التي جيش مصر ، فقد اراد  
الترك ان يتخلصوا من تلك الحركة العربية ومن حركة محمد علي الاستقلالية في وقت واحد ، ففرضوا الاولى  
بالتانية فقمى محمد علي باشا على الوهابية وسحق جيشه ، وسحق الانكليز حركة السودان بجيش مصر فقامت  
حركة المهدي وسحق جيش مصر كما ارادوا . وهذا من غرائب الاتفاق .

وقد دار الزمان دورته ، فقمى نحو قرن واذا بالوهابية تعود وهي اقوى مما كانت واهم جانبها ، ووجه هي  
دولتها اليوم تنشر اعلامها من خليج العرب شرقا حتى البحر الاحمر غربا ، وقد مضى الزمان الذي كان يقوم  
فيه المستبدون بتحريك مواطن المسلمين المذهبية للقضاء على الحركات اصلاحية .  
نحن لا نتنصر للوهابية لا ننصر الغير عليها ، فالزمان وحده كفيل باطهار معدنها ، واما ما ينفع  
الناس فيكث في الارض .

XXXXXXXXXX

يقول البعض ان طابع الاعراب تتنافى مع الحياة الاجتماعية بالنظر لبدونهم وانفتهم من الخروع  
لربيب واحد وهم يفتشون على هذه النظرية بنظريات ابن خلدون التي اوردها في مقدمته . ولكن ما  
قول القراء في خروع هذه الاقوام العربية الوهابية السلطان ابن سعود طاعة صفا فيسبون في برية مملكة  
نحو يهرين للوصول الى عمان بمشرق الأردن للاجهار على عرشها ، وهل يحسبن احد ان هذه الجموع  
كانت تسير نحو عمان وهي تدرى شيئا من صحتها ؟ او اقلها كانت تعلم ما هو الهدف الذي يريد السلطان  
من هذه الحملة ؟ الجواب كلا . اذن فلماذا لا يوظف الهدف العربي الذي طالما حلم به الناس

عاديات الاجانب عن بلاد العرب ؟

نحن نعرف ان العرب قد القوا في الجاهلية اكثر من حلف للحفاظ التوازن بين القبائل وذود القرى عن الضعيف فيها . واغرف هذه الاخلاف اليها " حلف الفضول " الذي تألف بعد حرب الفجار في مكة . فقد روى الخبيسي في كتابه ( الروى الأثف ) عن هذا الحلف ما خلاصته :

وكان حلف الفضول اكرم حلف سمع به واشرفه . وكان اول من تكلم به ودعا اليه الزبير بن عبد المطلب . وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببشاعة فاجترأها منه العاصي بن وائل ، وكان ذا قوة بمكة وشرف فحبس عنه حقه ، فاستمدى عليه الزبيدي الاخلاف عبد الدار ، ومخزوما ، وجمع ، وعدي ، وبنو كعب ، فابوا ان يمدونه على العاصي بن وائل وانتموهوه ، فلما رأى الزبيدي الضمير ، اوفى على جبل ابي قبيس عند طلوع الشمس - وقرئ في اندبتهم حول الكعبة - فباح بأعلى صوته :

يا آل فهر لمظالم يضاعف	بهان مكة نافي الدار والنفر
ومحرم اشعت لم يقني عرشه	يا للرجال وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت كرامته	ولا حرام لشوب الفاجر الفسور

فقدم في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال ما لهذا شرك . فاجتمعت هاهنا ، وبوهران ، وتيم بن مرة ، في دار ابن جديان ، فصنع لهم طعاما وتحالفوا في ذى القعدة في شهر حرام قهرا ، فتمت امرها وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدا مع المظالم على الظالم حتى يهودى اليه حقه ما يكبح صوته ، ويارسي حوائده وشبه مكانهما ، وعلى التأسى في المعاصي ، ثم دعوا الى العاصي بن وائل ، فانتزعوها منه ساحة الزبيدي فدفعوها اليه ، وقال الزبير رضي الله عنه :

حلفت ائمة من خلفنا عليهم	وان كنا جميعا اهل دار
تسميه الفضول اذا عقدنا	يعز به القريب الى الجوار
ويعام من حوالي البيت ائمة	اهلة التميم تمنع كل عثار

فما يجوز تقدم يمين لنا ان روح المحالقات كانت موجودة عند العرب ، فلو قام بعض الامراء اليوم واعادوا لهذه الينذير بعض العناية وتعهدوا لا يرتعت واخرعت واشرعة . .

قد يقول قائل : ولكن الطك حسين بن علي ملك الحجاز قد سعى كثيرا الوصول الى ايجاد حلف عربي وانه نادى منذ عامين باعلان الوحدة العربية ، فنقول ان مساعي الطك حسين لم تنجح حتى التفتي وذهب بعضهم الى ان الحسين لا يوفى في هذا الحلف ، وهو انما نادى بوحدة بقره ثم فقط الحجاز وشرق الاردن والسليمان . - ولنت هذا كان باكانته لان العراق يعمير تحت الحماية البريطانية وكذلك شرق الاردن واما فلسطين فانها في مركز غريب استثنائي بوجود وعد بالموار والمسيونية الى جانب الاحتلال ، ان فالوحدة العربية ، التي سمعنا بها على تلك الصورة انما هي مشروع خيالي بينه وبين الحقيقة مئة عام والفرسخ ا

XXXXXXXXXXXX

ان الوحدة العربية اذا لم تنضم عامة امراء الجزيرة ليست بوحدة واجتماع كلمة ، ولا الامراء اليوم بعيدة

من التحقيق كثيرا . . فالذا كما نريد الوصول الى الوحدة العربية فيجب ان يبدأ قبل ذلك باليجاد حلف عربي قوي لاسلطان للاجانب عليه . فان ظهر العرب بهذه الامة صار الوصول الى الوحدة في حيز الايمان

هذا ويمكن ان يوافق الحلف اليوم من سلطان نجد ، والامام يحيى ، وامام عمان ، اقول ان ذلك بالامكان لان مصالح هؤلاء الامراء ان لم تكن متفقة فهي على الاقل غير متضاربة كثيرا كما هي الحالة بين الاميرسي والملك حسين ، او بين هذا والسلطان ابن سعود فلو تالف الحلف من الامراء الثلاثة ، او من ابن سعود والامام يحيى فقط لاستطاع هذا الحلف بالنظر الى قوة هاتين الدولتين ، وان يقبض على ناصية الحال في كافة انحاء الجزيرة وعند ذلك يظهر الامراء الصغار الى د. قول الحلف ، والا شاعت اماراتهم والحقت بلادهم بالملك الحليف رغم انوفهم ولا شيء اهجب من محاولة التوفيق بين الملك حسين والسلطان ابن سعود لان التوفيق بينهما شرب من (١)

الحال لسببين ، الاول اعتماد الملك حسين بنفسه واحتقاره لسلطان نجد ومملكته ، والثاني اتساع نطاق ابن سعود وتآلفه من نظر الملك حسين اليه نظرة غير محترمة ، بينما هو اقوى منه مالا وهرا نفرا .

وتسائل الناس عن مرض ابن سعود من مهاجمة شوقي الاردن لانها شرقي الاردن ، بل انه يهددها بكافة بالامير عبد الله لانه يكره هذا الامير كرها عظيما ، والامير عبد الله بخافة احد العيون ، وما العهد بمنزلة الا شرب يوم " حمرة " و " تربة " حول الطائف منذ اربعة اعوام امام الوهابيين بجديد . ولكن الذي نرجحه ان ابن سعود اهدى نظرا من ان يتبع رجاله وامواله في سبيل انتقام شخصي كهذا الذي يتفعله البعض ، بل ان صدق الحدس ويريد امتلاك الزاوية الثالثة من جهات الجزيرة ، وهذه الزاوية هي شرقي الاردن وفلسطين . فالذا ثم لهذا السلطان ما نظن انه يقصده وهو البحر المتوسط تصبح ساحلته متصلة بالبحار الثلاثة : الخليج العربي ، الخليج الهندي ، والبحر الاحمر ، لانه يمتلك الان امارة ابن عارض الواقعة بين الحجاز والعسير ، فالبحر الابيض المتوسط .

وهنا يريد ماينا هذا السؤال وهو : كيف كان شعور الفلسطينيين حول هذا الهجوم على الاردن ؟ والجواب على ذلك ان شعور سكان فلسطين حيال حركات الوهابيين هو شعور الفريق مندسا ياشج وهو في الغالب قناعة من التعصب ، وبمباراة اوضح انهم يتطرون الى الوهابيين نظرهم الى منقذ يتوقون منه انتقالهم من الانتداب الانكليزي وعليتهم من كابوس الصهيونية . وكما اشته الانكليز على الفلسطينيين اشته شوقهم الى الوهابيين وغير الوهابيين ، بل التي زلزلة تبتاعهم وتخلصهم مما هم فيه من الهلاك . . كما ان اهل فلسطين لا يحلون الى الامير عبد الله قط . هذا اذا سماهنا في التعبير ولم نقل انهم يكرهونه . . وقد كانوا قبل ان يختبروه يحبونه محبة عظيمة جدا ، ولكنهم الان وقد راوا منه ما رآوا فقد باتوا يرون فيه درها للانكليز وحسنا للصهيونية . .

محمد علي الظاهر

القاهرة

(١) قام السلطان عبد العزيز بن سعود بعد كتابة هذا الفصل بالمشير فليما باجتماع الحجاز والعسير ، حيث ازال مرض الجاهليين ومرض الادارسة ، بعد ان ازال قبل ذلك امارة آل الرشيد في نجد الشمالية ، وامارة آل عارض في انحاء التي تقع بين الحجاز والعسير ، فالظاهر ان ابن سعود يريد ان يمشي نحو الوحدة على طريقته الخاصة التي هي عليه وفداعيه ولا ينتظر الوحي من الانكليز ولا الجيرمان . . .